البصل والبيض و«اللصقة الأمريكية» وتطبيع العلاقات!

أنيس منصور

التحرير

هل السلام خبز وقبلات ؟

فالإسرائيليون يريدون الخبز ، ولكنهم لايجدون من المصريين إلا القبلات ..

والمصريون يريدون القبلات ، ولكنهم لايجدون من الإسرائيليين إلا الخبز ..

أى أننا نستعجل الحل السياسى ، وهم يستعجلون الحل الاقتصادى ..

إذا جاءوا رحبنا بهم وأكدنا لهم أننا نريد الحياة الآمنة وأننا لانريد الحرب . وهم يصدقون ذلك . ولكنهم يريدون أن نذهب إلى مابعد ذلك . أما الذى بعد ذلك فهو أن يكون هناك بيع وشراء ، وشركات وتجار ، وأناس يروحون ويجيئون ..

ثم يكون هناك « دورى عام » لكرة القدم بين البلدين – وقد كان ذلك أول سؤال وجه إلى الرئيس السادات فى حضور السيد بيجين فى الاسماعيلية .. منذ ثلاث سنوات ..

وقد تكرر الحديث عن « تطبيع العلاقات » فى جميع المفاوضات واللقاءات مع الرئيس السادات فى الأيام الأخيرة ..

والمفاوضات مع إسرائيل هى محاولة مستمرة لإقناعنا بضرورة الخبز والقبلات معا . والخلاف بيننا على أيهما نبدأ به . ولن تنتهى المفاوضات والخلافات مع إسرائيل . لأن كل شىء قابل للتفاوض حتى الذى تفاوضنا فيه واتفقنا عليه . وذلك لأنه من السهل الشك عندهم فى كل شىء ..

ورغم كل التأكيدات الرسمية والشعبية والاستفتاءات على السلام ، فإن المفاوض أو المواطن الإسرائيلى يتساءل : هل هم حقا يريدون السلام ؟ ..

و « هم » يعنى المصريين ..

وفى حديث الرئيس السادات مع السيد اسحاق رابين رئيس وزراء إسرائيل السابق قال له : لقد أحسست بالإهانة البالغة عندما سمعت من يقول إن السادات بعد أن يسترد سيناء سوف ينقلب على إسرائيل ، ويعود إلى الصف العربى ! ..

وقد سبق أن أعلن ذلك السيد أريك شارون ..

وسألنى نفس السؤال الجنرال ياريف فى مكتبه بمعهد الدراسات السياسية بتل أبيب ..

وقد عاد هذا الشك من جديد بعد الشائعات الكثيرة التى ترددت عن اتصالات سرية بين مصر والسعودية .. وبعد أن رأى الإسرائيليون أن فى مصر ربع مليون سائح عربى . ولكن الإسرائيليين لايعرفون أن الشعوب العربية هى التى تستريح إلى مصر ، أما المسئولون أو الشيوخ أو الأمراء فإنهم لايجيئون .

ومنذ أسابيع توفيت حماة أحد الأمراء . ولم يسمح له بالحضور . بل إن اسرة الفقيدة قد تلقت تليفونياً اعتذاراً رسمياً عن عدم الحضور . لأسباب تتعلق بسلامة الأمير ؟! ..

وكانت اللقاءات حول موضوعات كثيرة متشابكة . وكان أبرزها قضيتين : تطبيع العلاقات بين مصر وإسرائيل والحكم الذاتى للفلسطينيين ..

أما « تطبيع العلاقات » فالشكوى الإسرائيلية أنه يمشى

بيطء أو لايمشى مطلقا . وأن الإسرائيليين لايتوقفون عن زيارة مصر ، بينما لامصرى يذهب إلى إسرائيل . لاسائح ولاطالب ولاصحفى ولاكاتب . .

ويرى الإسرائيليون أن هذا الإجماع المصرى على عدم زيارة إسرائيل لايمكن أن يكون تلقائيا ، إنما هو بتوجيه من الحكومة . وعلى ذلك فالحكومة لاتريد التطبيع ، أو أنها تكتفى بهذا القدر الضئيل من العلاقات بين البلدين . وأن هذا يدل على أن مصر بدأت تغير موقفها ، وعلى ذلك فإسرائيل يجب أيضا أن تفعل نفس الشىء..الخ !

وعلى الرغم من أنهم يجدون رد الفعل المصرى الشعبى لقرارات حكومة إسرائيل وقرار ضم القدس وبناء المستوطنات وضرب الفلسطينيين ، واضحا تماما . فإنهم يرون أن مايفعلونه طبيعى ، أما رد الفعل المصرى فليس طبيعيا . أى أنهم لايرون إلا وجهة نظرهم فقط ! . .

ويضربون أمثلة كثيرة وجزئية على الإبطاء فى التطبيع أو على التخويف الرسمى لمن يحاول ذلك . مثلا : يقولون إن البوليس يطارد كل الذين ترددوا على بيت السيد أحمد أبو الذهب فى الإسكندرية . والسيد أبو الذهب متزوج من سيدة يهودية أسلمت ، وهى أخت السيد روبير داسا الذى كان منهما فى فضيحة لافون . وكان السيد مناحم بيجين قد استأذن الرئيس السادات فى أن تزور زوجة السيد أبو الذهب أمها فى إسرائيل . وسافرت وعادت . .

ويقولون أيضا إن كل الإسرائيليين الذين ترددوا على بيت السيد أبو الذهب طاردهم البوليس . وهددهم إن فعلوا ذلك مرة أخرى . . حتى ان صحفيا إسرائيليا جاءه البوليس وطلب منه أن يسلمه جواز سفره ورفض الصحفى ! . .

ثم إن السيد أبو الذهب حاول أن يستورد « اللصقة الأمريكية » من إسرائيل ليبيعها فى مصر ولكن التهديدات والصعوبات جعلته يعدل عن ذلك تماما ! . .

وفى الأسبوع الماضى أعلنت شخصية إسرائيلية مسئولة أن إسرائيل طلبت من مصر استيراد كمية كبيرة من البصل . وقد وافقت مصر شفويا ولكنها لم ترد على خطاب واحد من تسعة خطابات بعثت بها إسرائيل ! . .

أما موضوع البيضة « ٣١ مليما » فقد عرضتها إسرائيل لإغراق السوق المصرية . ثم عادت فعرضت بيعها بخمسين مليما . ثم امتنعت عن ذلك ، ويتساءل المصريون : مامعنى ذلك ؟ وأين هى الجدية وحسن النية ؟ . .

وقالوا إن المصريين الذين يترددون على سفارة إسرائيل فى القاهرة يخافون من رجال الأمن الذين يهددونهم ويتوعدونهم ويطاردونهم حتى بيوتهم ؟! . .

وفى تل أبيب يقف طالبو السفر إلى مصر فى طوابير طويلة وطويلا . . والسبب هو نقص موظفى القنصلية المصرية . . ولابد أن يكون ذلك متعمدا من مصر . ويقولون إن تأشيرة الدخول تجىء بعد شهور . رغم أن مصر وإسرائيل اتفقتا على ألا يتجاوز ذلك ١٥ يوما . .

وترى أجهزة الأمن المصرية أنه لابد من النظر بمنتهى الدقة فى تاريخ كل من يريد أن يدخل مصر من اليهود أو غيرهم من العرب . وهذا حق لكل دولة . وليس سرا أن نعرف من الذين يريدون أن يفسدوا الأمن العام فى مصر . ولا المبالغ الطائلة التى يتقاضونها . .

وكانت علب البيرة الإسرائيلية « أو . كى » قد هربت إلى السوبر ماركت المصرية . وكما ظهرت بسرعة اختفت أيضا . .

ولكن لاأحد يعرف كيف يمكن وقف تهريب الماس الإسرائيلى إلى مصر . وليس فى استطاعة أحد أن يفتش الملابس الداخلية لكل من يجىء إلى مصر . .

والمطلوب منا جميعا أن ننظر بالعقل إلى كثير من الحوادث والاجراءات والمتغيرات السياسية والاقتصادية .

وهذه النظرة الواقعية هى البداية الحقيقية للتطبيع فى علاقات البلدين اليوم وغدا . .

وفى الرسالة التى وجهها الرئيس السادات إلى الشعب الإسرائيلى بمناسبة رأس السنة العبرية الجديدة ٥٧٤١ ، قال إن هناك نوعين من التطبيع : قبل المبادرة كان تطبيع للعلاقات السيئة بين البلدين : علاقات الكراهية والخوف والثأر . فقد اعتدنا على هذه العلاقات . ووجدناها حالة طبيعية . . فكأننا وجدنا طبيعيا ماليس طبيعيا . ووجدنا عاديا ماليس عاديا . ولكن بعد المبادرة بدأنا تطبيع العلاقات الطبية بين البلدين بالمودة والتفاهم والحوار والصداقة وحسن الجوار ، أملا فى سلامنا مع إسرائيل والسلام الشامل بحل القضية الفلسطينية قلب الصراع وبدايته ونهايته أيضا . .

بل إن الرئيس السادات فى رسالته ذهب إلى أبعد من ذلك عندما قال : بل إن التطبيع ليس بين حكومتين إنما بين شعبين . ولذلك فسوف يجىء بطيئا أكيدا تلقائيا عميقا . .

وقال الرئيس السادات إنه فى رسالته الأخيرة إلى السيد مناحم بيجين أبدى تخوفه من أن يجىء وقت « ننظر فيه وراءنا فى غضب ونقول : ماكان أغنانا عن هذه الصعوبات . . أخشى أن يجىء وقت ننظر فيه وراءنا فلانجد إلا أعمدة الملح التى تحدثت عنها التوراة – ملح الندم والكراهية واليأس من أن تكون لنا حياة فى سلام » . .

ولاخلاف بين الإسرائيليين على معنى التطبيع الحقيقى : إنه تطبيع للعلاقات المادية والعملية بين الشعبين . .

وقد كان السيد إسحاق رابين واضحا جدا وقاطعا جدا عندما قال للرئيس السادات : إنهم فى إسرائيل قد أرادوا السلام ولكنهم لم يذوقوا ثمار السلام – الثمار الاقتصادية ! » .

□□□

أما الموضوع الثانى الذى تناولته اللقاءات العديدة مع الرئيس السادات فهو الحكم الذاتى الفلسطينى . وقد توقفت المفاوضات بسبب قرار ضم مدينة القدس . وهو القرار الذى جمع العالم كله ضد إسرائيل . حتى صرخ كثير من يهود العالم ضد هذا الموقف الخاطىء الذى أنعش العداء للسامية فى العالم كله ! . .

وقد أعجبنى ماكتبه يوسف إيجر وهو عازف موسيقى ورئيس للفرقة السيمفونية الإسرائيلية . فى مقاله الذى ظهر فى العدد الأخير من نيوزويك . قال كانت له ست أخوات بنات . واحدة تزوجت مسيحيا . وأعلن أبوه الحداد حتى الموت – حتى موته وموت أخته أيضا . فكأن الأب قد ضحى بالحب الغالى ، من أجل أوهام دينية !

ويقول يوسف إيجر : إن والدى يشبه بيجين تماما . وبيجين يفعل نفس الشىء . فهو يضحى بإسرائيل كلها من أجل أفكار ميتة جاءت فى التوراة ! . .

وليس يوسف إيجر إلا واحدا من اليهود الذين يشفقون على إسرائيل وعلى

الشعوب اليهودية فى كل مكان . بل إنه يتساءل : هل السيد بيجين ضرورى لليهود ! ..

وهو الذى يجيب : ليس ضروريا ! ..

وهو يقصد : فلسفة بيجين ليست ضرورية بل هى ضارة على المدى الطويل ! ..

ويرى يوسف إيجر أن مايصلح لليهود يصلح للفلسطينيين أيضا . فيجب أن يحظوا بالاحترام ، وأن يكونوا فهم وطن ، وألا يعيب عليهم أحد أنهم إرهابيون . فقد كان اليهود إرهابيين قبل قيام الدولة ..

ومنذ ثلاثة أسابيع كتبت فى هذا المكان أقول : إنه سوف تكون لقاءات ثنائية بين مصر وأمريكا وبين أمريكا وإسرائيل ، تمهيدا لقمة ثلاثية .. وسوف تتقدم أمريكا بورقة عمل للاتفاق أو الاختلاف عليها ..

وهذا ماحدث بالضبط . فسوف تكون لقاءات ابتداء من ١٥ أكتوبر القادم ، تمهيدا لقمة ثلاثية فى ٢٠ نوفمبر القادم . وقد وجه الرئيس كارتر الدعوة إلى السيد بيجين الذى سيزور نيويورك يوم ١١ نوفمبر ، أن يجىء للقائه فى واشنطن . ووافق الرجلان على اللقاء ..

وفى يوم ٣ سبتمبر الحالى سلم السفير سول لينوتس نص « مذكرة الاتفاق » . وهو النص الأمريكى لورقة العمل التى سوف تناقشها أمريكا مع مصر ، وبعد ذلك تناقشها مع إسرائيل ..

والمذكرة من خمس صفحات ..

وتقول سطورها الأولى : « جمهورية مصر العربية ، ودولة إسرائيل ، والولايات المتحدة الأمريكية ، قد وافقت على أن وثيقة « مذكرة الاتفاق » هذه ، هى بمثابة اتفاق تمهيدى على صيغة الترتيبات الخاصة بالمرحلة الانتقالية التى وردت فى « الإطار » لتحقيق السلام فى الشرق الأوسط . وقد اتفقت الأطراف الثلاثة على أن هذه المبادىء يجب أن توضع فى اتفاق نهائى على الحكم الذاتى . وأن الأطراف الثلاثة قد التزمت بهذا الهدف . وقد اتفقت الأطراف الثلاثة على أن مشاركة المواطنين الفلسطينيين مطلوبة تماما لتحقيق السلام الشامل الذى نص عليه « الإطار » ..

« ولقد وصلت مصر وإسرائيل بالتعاون مع الولايات المتحدة إلى مفهومات واتفاقات تتعلق بالخطوات التى سوف تتخذها لتنفيذ مبادئ هذا « الإطار » .. وعلى ذلك ، فلكى يكون حكم ذاتى تام لسكان الضفة الغربية وغزة ، أثناء فترة الانتقال ، ولتأكيد انتقال سلمى للسلطة ، ولتأكيد أمن إسرائيل وجيرانها ، ولكى نأخذ فى الاعتبار أمن جميع الأطراف ، ولكى نحقق الأهداف التى جاءت فى « الإطار » ، فقد اتفقت مصر وإسرائيل ، بالتعاون مع الولايات المتحدة الأمريكية على مايلى : ... »

وفى هامش هذه المذكرة جاءت هذه الملحوظة الهامة : فى كل فقرة نجد تعبير « الضفة الغربية » يكون معناه عند حكومة إسرائيل : يهودا والسامرة ..

وقد تسلم السيد ليونار من د . بطرس غالى رد الحكومة المصرية على ماجاء فى هذه المذكرة . . ولابد أن أمريكا قد تلقت ملاحظات إسرائيل أيضا على هذه المذكرة ، أو على مذكرة أخرى تم تعديلها قبل عرضها على مصر – نحن لانعرف ..

وقد أرسلت مصر ردها على هذه المذكرة إلى الفريق كمال حسن على ليكون تحت عينيه عندما يلتقى اليوم فى المستشفى بالسفير سول لينوتس ..

ولابد أن يكون السيد إسحاق شامير فى لقائه بالرئيس السادات قد أبدى تخوفه من البيان المصرى الذى سوف يلقيه الفريق كمال حسن على يوم ٣٠ سبتمبر الحالى . ولذلك فقد شكا إلى الرئيس السادات من أن د . بطرس غالى لايكف عن الهجوم على إسرائيل فى المحافل الدولية . وهى نفس الشكوى التى أشار إليها السيد مناحم بيجين فى رسالته الأخيرة يوم ١٨ اغسطس الماضى ، إلى الرئيس السادات ..

ولكن الرئيس السادات التفت إلى السيد إسحاق شامير ومشيرا إلى د . بطرس غالى قائلا : أمامك د . بطرس غالى وناقشه فى ذلك ! ..

ثم قال الرئيس السادات :

إنك شخصيا قد هاجمت اتفاقية السلام فى الكنيست ، ومع ذلك فنحن نجلس هنا معا ؟ ! ..

❁❁❁

ومن الملاحظات المدهشة حقا أن نجد هؤلاء الإسرائيليين جادين صارمين متخوفين متشككين . وفى نفس الوقت يجدون قصة أو نكتة مضحكة للتعبير عن كل شىء ..

قال لى السيد إسحاق رابين : إنه لاتوجد فكرة أو قضية لايجد لها د . بورج قصة مضحكة !

وقد روى مسئول إسرائيلى فى الاسكندرية أنه أيا كانت الأسباب أو الدوافع أو المخاوف أو النتائج فلابد أن نجرى ولانتوقف عن الجرى .. ثم حكى لنا هذه القصة . قال إن اليهود فى روسيا كانوا ممنوعين من مغادرة بعض المدن إلا بتصريح خاص . وقد حدث أن فكر اثنان من اليهود فى الذهاب إلى إحدى المدن الكبرى . واكتشف أحدهما أنه ليس معه تصريح .. ولكن اليهودى الآخر قال له : ولايهمك . سوف أتولى ذلك بنفسى . فإذا اقتربنا من رجل الشرطة فاهرب أنت بسرعة ..

وسأله الآخر : وماذا ستفعل أنت ؟

أجابه : أنا معى التصريح ..

– ولكن أنا ليس معى ..

– اهرب .. اهرب ..

وانطلق الاثنان يجريان ولحق رجل الشرطة بالرجل الذى معه التصريح .. واستوقفه قائلا : معك تصريح ؟ قال : نعم ..

وأعطاه التصريح وراح رجل الشرطة يقلبه بمنتهى الدقة ثم قال له : غريبة . . . ان التصريح سليم تماما . فلماذا تجرى ! ..

قال الرجل : إن الطبيب أمرنى أن أجرى ساعة كل يوم ..

وسأله رجل الأمن : ولماذا يجرى زميلك ؟

فأجاب : لنفس السبب ..

وسأله الشرطى : ولماذا لم تتوقف انت عندما وجدتنى أطاردك ؟ ..

قال الرجل : لقد ظننت أن الطبيب قد نصحك أنت أيضا بالجرى ! ..

❁❁❁

أما تفسير النكتة : فهو لابد أن نجرى وألا نتوقف سواء كان معنا تصريح بذلك أو لم يكن معنا .

فلا أحد يستطيع أن يتوقف أو يوقف السلام .. ■